

جامعة سطيف 2/ كلية الأداب واللغات	قسم اللغة والأدب العربي السنة الثالثة دراسات أدبية
السداسي الخامس السنة الجامعية 2022 / 2023	مقياس جماليات السرد العربي القديم

المحاضرة السادسة: السرد الاجتماعي

الفئة المستهدفة: السنة الثالثة دراسات أدبية

عناصر المحاضرة:

- 1- تعريف السرد الاجتماعي
- 2- السرد الاجتماعي في بخلاء الجاحظ
- 3- خصائص السرد في بخلاء الجاحظ
- 4- السرد الاجتماعي في مقامات الهمداني
- 5- خصائص فن المقامة

اتسم السرد العربي القديم بعدة سمات جعلته يتميز بأنماط جديدة ارتبطت في مجملها بموضوعاته ومضامينه ولعل من بين ما اهتم به السارد العربي القديم الموضوعات الاجتماعية ضمن ما عرف بالسرد الاجتماعي.

1. تعريف السرد الاجتماعي:

هو كل نص سردي يهتم بظاهرة اجتماعية بارزة، حيث تشكل بؤرة النص ومركزه، وهو النص السردي الكتابي ذو المؤلف الواحد، الذي ظهر في العصر العباسي وأهم أعلامه الجاحظ، وبديع الزمان الهمداني.

2. السرد الاجتماعي في بخلاء الجاحظ

يعد بخلاء الجاحظ من الكتب العربية القديمة التي اتخذت السرد آلية لها، وانتقلت مادتها من المجتمع العباسي، إذ تصور الظاهرة وتنقلها على لسان الراوي، بمبدأ الإسناد، وهو أول كتاب رصد ظاهرة البخل وبين نفسية البخيل وفلسفته، عن طريق تتبع أخبار البخلاء في بيئتهم، بغية تبيان أصول علم البخل وفلسفته، حيث إن بخلاء الجاحظ " مجموعة من الوحدات الأدبية التي برغم اختلافها من حيث الشكل أو التنظيم، إلا أنها جميعا تعتمد على الأحداث التي مهما يكن تنوعها، فهي تقوم على أساس واحد مشترك، هو أنها جميعا تمثل صفة البخل، أو طبيعة الشخص البخيل " ولتصوير هذه الصفة أو الطبيعة كان الوصف أكثر الآليات توظيفا في النص القصصي.

3. خصائص السرد في بخلاء الجاحظ:

ترتبط خصائص السرد الاجتماعي في بخلاء الجاحظ ببنية النص القصصي من حيث الآليات الموظفة لوصف الظاهرة الاجتماعية ونقدها.

- **آلية الوصف:** وهي من الخصائص البارزة التي يلجأ إليها الراوي لتقديم صورة عن الظاهرة الاجتماعية، إذ ينقسم الوصف في قصص البخلاء إلى وصف نفسي وآخر حسي.

أما الوصف النفسي فهو ما ارتكز على وصف دواخل النفس الإنسانية وأعماقها. في حين أن الوصف الحسي يكون حين تصوير الواقع على حاله دون خيال أو تغيير، جاء في البخلاء " ولقد رأيت رجلاً ضخماً، فخم اللفظ فخم المعاني، تربيته في ظل ملك، مع علوّ همّ ولسان غضب، ومعرفة بالفاضح من العيوب والدقيق من المحاسن" الجاحظ: بخلاء الجاحظ، دار المعارف، 1990، ص 78.

- **آلية الحجاج:** وهي من أهم الخصائص للنص السرد في البخلاء، كونها تبرز فلسفة البخيل وحججه، لأجل تفسير موقفه أو تبرير ردود أفعاله، بل إنها من بين الخصائص التي يركز عليها البخيل لتبيين "حجة طريفة أو تعرف حيلة لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة" بخلاء الجاحظ، ص 5

- **اللغة التصويرية:** وهي لغة إبداعية تقوم على تصوير الحدث

- **بساطة الحدث:** يعد كتاب البخلاء من سرد الأخبار لذلك نجد فيها خصائص سرد الأخبار من حيث الحدث من حيث يبينه سواء البنية البسيطة أو المركبة.

- **السخرية والتهكم:** حيث وظفها الجاحظ في نوازل البخلاء وسيلة للنقد الاجتماعي لا سيما في ظاهرة البخل السلبي، على خلاف البخل الإيجابي (حسن التصرف والاقتصاد).

4. السرد الاجتماعي في مقامات الهمذاني

- **تعريف المقامة:** هي فن أدبي قصصي ارتبط بأحد أهم أعلامه في العصر العباسي، وهو بديع الزمان الهمذاني (ت 398 هـ). لغة اشتق لفظ المقامة من المقام والتي تعني المجلس مكاناً وجماعة، إذ ينهض متحدث يلقي على أسماع الجماعة كلاماً للوعظ والإمتاع، في أسلوب قصصي يعتمد الزخرف اللفظي وبلاغة التصوير.

- ظهرت المقامة في العصر العباسي لتصور حال المجتمع في القرن الرابع للهجرة، في واحدة من أشهر الظواهر الاجتماعية، وهي الكدية، والتي تعني الاستجداء والتسول عن طريق الخداع والاحتتيال طلباً للرزق، في قالب من السخرية والنكته، عن طريق براعة الأسلوب.

5. خصائص فن المقامة:

- **بنية المقامة:** للمقام بناء موحد تقوم على الراوي الواحد والبطل الواحد، حيث إن راوي مقامات الهمداني هو عيسى بن هشام، أما بطلها فهو المكدي أبو الفتح الاسكندري

- **مبدأ التأطير:** حيث تتميز المقامة بالحكاية الإطارية التي تنضوي تحتها حكايا متون، فهي نص قصصي يرويه راوي واحد لبطل واحد ضمن أحداث متنوعة بحسب المكان والحبكة

- **صيغة الأداء:** وهي صيغة كل المقامات التي تستهل بـ " حدثنا الراوي قال " وفي مقامات الهمداني نجد حدثنا عيسى بن هشام قال:

- **الزخرف اللفظي:** وهو من السمات البارزة لفن المقامة حيث لا بد من توفره فيها، يقول الهمداني " حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ، وَأَنَا بِبَعْدَادَ، وَلَيْسَ مَعِيَ عَقْدٌ عَلَى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهْرُ مَحَالَهُ حَتَّى أَحْلَنِي الْكَرْحُ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِالْجَهْدِ جِمَارَهُ، وَيُطْرِفُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ... " والزخرف اللفظي ليس تكلفاً بقدر ما كان لغاية تعليمية لغوية ومعجمية ودلالية.

- **العنوان:** تمتاز كل مقامة بعنوان يتصدرها يكون في الأغلب المكان الذي تجري فيه أحداث النص، كالمقامة البغدادية أو الحلوانية

- **الاحتتيال:** وهو أكثر ما اتسمت به المقامات كونه الظاهرة الاجتماعية التي تعالجها هذه النصوص السردية، لذلك كانت الحيلة تختلف باختلاف المكان والشخصية المتكبرة التي تعسى إلى عدم كشف حيلتها عن طريق تغيير مظهرها

- **السفر والترحال:** وذلك لأن الاحتتيال يصاحبه في العادة تغيير المكان كي لا يتم كشف الشخص المحتال أو الإمساك به

- **العناصر السردية للمقامة،** والتي تتمثل في الحبكة والعقدة والحل، كما أن الوصف من بين آلياتها

- حضور الشعر في السرد: حيث نجد في نهاية المقامة أبياتا شعرية كحكمة أو كتوظيفها في المقامة القريضية للهمداني حول الشعر

- يمكن عد المقامة من أدب الهامش كونها تصور الفئة المهمشة في المجتمع.